في تاريخ النقد الأدبي

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

(١)

حين نقرر * ان النقد يقوم على فهم نظريات الادب وتطبيقها ، فاننا نربطه بنفسية الفنان من ناحية ، ونصله من ناحية اخرى بالاعتبارات الجمالية والاقتصادية والسياسية . وهذه الحقيقة في غير شك هي التي تهيمن على جميع النقاد ، ولكنهاتصاغ وفق ما صيغت به مداركهم ؛ بحيث تبدو مجرد محاولات بلاغية عند بعضهم ، أو كشفا عن الطابع النفسي المميز عند بعضهم الاخر ، وربما بدت أحيانا تكريسا لمواقف اجتماعية معينة ، واحيانا أخرى استكناها للروح الانسانية التي هي جوهر الحقيقة الخالدة !

وعلى هذا النحو تختلف أعمال الكبار من أمثال شيكسبير ومونتني ولامارتن وابسن وشوقي وناجي – في نظر النقاد ، واذا ما يتقبله البلاغيون مثلا يهمله الآيديولوجيون ، وما يهلل له الاجتماعيون يرفضه النفسيون . وتصبح المشكلة من هنا مشكلة تبدد الحقيقة ، مما يلقي في الروع أن كثيرا من النقاد أو أغلبهم يصدر عن أهواء خاصة أو تحيزات معينة .

ومن أجل ذلك يلعن النقاد ، غير أنهم يظلون دائما فوق اللعن . ومن خبراتهم الطويلة توضع المعالم على الطريق أمام الناشئة ، وتتحدد معالم التفوق عند الكبار .

(٢)

ولقد نشأ النقد يوم أقدم الانسان على أولى محاولاته أن يميز بين الاشياء ، ولم يكن الفن قد استقام عوده ، لا ولم تتضح بعد قيم الجمال . فكانت غريزة « المراجعة » تكفل للوجود الاجتماعي حرية القبول والرفض ، وارتبط النقد من هنا بالحاجة المادية المطلقة . فقيل نقد الدراهم أي فحصها ليعرف جيدها من الرديء (١) ، وقيل نقد الطائر الحب أي ضرب بمنقاره فيه ليختار بعضه ، ثم قيل بعد ذلك نقده أي أطال فيه النظر .

وتلك المدلولات كما نرى تدور حول محورين: أحدهما الجس ، والاخر الحكم (٢) .

الجس بجميع ما فيه من بصر وتجربة وذكاء ، والحكم بكل ما يتضمنه من فهم وذوق وقدرة على التمييز . ومن ثم كان لا بد للناقد أن يكون خبيرا ، بل أن هذه الخبرة في الواقع هي الشرط الاول لوجوده . وعندما صار عليه أن يقارن ويوجه ويحكم الحكم الفني ، لم ينتف هذا الشرط قط .

ولكن قرونا مرت قبل أن يصدر ذلك الحكم الفني . ومن العسير حقا أن نحدد متى وقع أول حكم ، فقد يكون هذا أيام آدم اذا افترضنا جدلا مع بعض العرب أنه قال شعرا (٣) ، أو قد يكون ايام عاد وثمود وحمير اذا توسطنا في الامر (٤) . وربما كان في الجملة قبل ان تتحدد فنون الانسانية من أساطير ورقص وحكايات وشعر ، وفي هذه الحال يكون الناقد – منذ فجر التعبير الانساني – قد بلور محاولات الفنانين وقننها ، ثم تابعها بالرصد .

ومهما يكن فان الناقد – بالمعنى العام – قد عاصر بدايات التحضر الثقافي كله . أما ربط ذلك بزمن ما فلا سبيل اليه على الاطلاق ، ونحن بدورنا لا نخسر شيئا اذا لم نحدد هذا الزمن .

ويقرر الدارسون مع ذلك أن طلائع النقد بدت عند الاغريق فيما نشب بين هوميروس وهيسيودوس في عصر الملاحم الذي يسبق عهود سبأ وحمير وثمود ، وكان الخلاف بين الشاعرين يدور حول طبيعة الشاعر وحقيقة انتاجه أو قيمته . وقد تعمقت النظرة فيه عندما ازدهرت الغنائيات في القرن السادس قبل الميلاد ، وفي هذه الفترة كان العرب الجاهليون – فيما يبدو – يصدرون عن محاولات جادة في صياغة القصيدة العربية وفي حبك الاسطورة وصياغة المثل الشعبي .

ولا نستطيع أن نزعم أن لقاء فنيا تم بين العرب والاغريق في تلك الفترة ، وان كانت كتب التاريخ – وفيها تاريخ أسطوري – تؤكد أن اللقاء الاروامي كان واقعا فعلا .

(*) فصل من كتاب ينشر قريبا بعنوان « نقد » .

(١) يسمى هذا الرجل بالجهبذ ، والجهبذة (فارسية معربة) هنا عملية نقد الزيوف والصحاح من الدراهم ، ولكنها تطلق مجازا على ناقد العلم المدقق .

(٢) مدلول Criticism عند الاوربيين مرادف لهذا التحديد تقريبا ، وهو قريب من مدلول اللفظة اليونانية krinein ومعناها يحكم أو يديم النظر ، ويورد جورج واطسون في كتابه The Literary Critics (ص ١١ هامش ٣) رأي أرسطو في أن الناقد هو الذي يحسن الحكم ولكنه بالمصلح الفني الذي حدد له لم يجاوز كتابات بيكون في المعرفة ، ويقول الدكتور صقر خفاجة بشيء نحو هذا واشتقت krites بمعنى القاضي أو الحكم . ولكن المدلول العربي كان اوسع من ذلك حتى شمل العيب ، وفي حديث أبي الدرداء « ان نقدت الناس نقدوك ، وان تركتهم تركوك » ويحتمل المعنى الضرب من قول العرب : نقدت رأسه باصبعي اذا ضربته ، ونقدت الجوزة ضربتها .

(٣) في تيجان وهب من منبه وسيرة ابن هشام نماذج من هذا الشعر الموضوع !

(٤) اسقط ابن سلام الجمحي ما يضاف الى هؤلاء من شعر – راجع صفحة ٢٤ من كتابه طبقات فحول الشعراء (ط. المعارف ، ذخائر ٧) والمعروف أن ثمودا ذكرت في جملة البلاد التي غلبها سرجون الاشوري سنة ٧١٥ قبل الميلاد وهذه أحدث من عاد ، وأما دولة حمير فهي فرع من السبأيين ولم يذكرها اليونان في كتبهم الى سنة ٢٠ قبل الميلاد وان تكن عاشت قبل ذلك بقرن كامل وانتهت بذي نواس سنة ٥٢٥ كما يقول جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام » ص ٧٦، ٧٧، ١٤١ .

بل لقد كان « يونان » أبو الاغريق شقيقا لقحطان أبي الميمانيين ، وكلاهما من ولد عابر بن شالخ (٥) . ويلعب يونان في سير العرب الشعبية ـ ولا سيما في سيرة الظاهر بيبرس ـ دور صاحب الحكمة والعلم بالغيب والسحر !

وفي أيام ازدهار الشعر عندهما ـ عند العرب والاغريق ـ كانت آسيا الصغرى وهي من أوائل مراكز التجمع لليونان القدماء تتصل بالساميين ، وكذلك اتصلت بها تلك القبائل التي كانت تنزح من أواسط آسيا عن طريق البحر الاسود الى تراقيا قبل أن تستقر في جنوبي اليونان .

كل ذلك لا يعنينا على أي حال ، ولكنه يثير الخيال حيث نلتقي بقيم جمالية تتشابه عند العرب والاغريق جميعا . فالاولون يعدلون عن التطويل الى الايجاز ، ويفرقون بين شاعر محكك يكتسب مهارته عن طريق التمرس (٦) وشاعر يصدر بعفوية واقتدار . وأما اليونان فيضعون قوانين الفن التي لا تبعد عن تلك الدائرة ، وينادي بنداروس (٧) بالقصد في التعبير كما يقرر ان الشعر الهام من عند الالهة وأن المهارة المكتسبة فيه دون الطبع الذي ينطق بما يسحر النفوس .

ان بدايات الفن عند الشعبين ـ حتى وان لم يكن قد وقع بينهما لقاء ـ كانت واحدة ، وكيف لا تكون والانسان في كل بيئة وفي أي زمن يركن الى غرائزه في مختلف تعبيراته ؟ والطبيعة في هذه الحال شكل من أشكال النفس لا جزء من الواقعية ، على ما سيقرر فيما بعد . ولعل هذا يوضح نظرية بعض الرومانسيين الذين يقررون أن الذات هي بؤرة المعرفة ، وعلى صعيدها تلتقي الاراء بقدر ما تفترق . ولكن هناك على أي حال ما يجمعهم حول طبيعة الحياة في بدائيتها واعتمادها هنا وهنالك على النظام القبلي بتقاليده وعاداته وامكانياته ، ولم يكن حس القومية الحقيقي موجودا لدى قبائل الاغريق كما لم يكن معروفا بين قبائل الجزيرة العربية ، وان كان كل منهم كمجموع يشعر بمغايرته للشعوب الاخرى في الدم واللغة والظروف الاجتماعية . وحين يظهرون هذا الشعور يرمون غيرهم بالهمجية ، دون أن ترتفع بهم الى وعي ما بالوحدة السياسية . ولفظة Barbarian الذي نترجمه الآن بلفظ « همجي » لانطوائه على بعض هذا المعنى حين أطلقه الاغريق على القبائل الجرمانية ، يعادل كلمة « أعجمي » التي أطلقها العرب على غيرهم .

ومهما يكن من شيء ، فقد نما النقد عند الاغريق بظهور السوفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهؤلاء كانوا علماء بلاغة وبيان (٨) . ومن اشهرهم بروتاجوراس الذي تخصص في دراسة اللغة ، وجورجياس الذي درس الشعر والنثر ووضع قوانين الخطابة وساوى بين الايجاز والاطناب ، وهو ما عابه أفلاطون الذي كان من دعاة الايجاز .

(٥) راجع مروج الذهب للمسعودي ١ : ١٧٨ (ط. البهية المصرية سنة ١٩٤٦) وقد تحدث جواد علي عن نظرية قديمة لليونان تقرر وجود أصل دموي بين بعض العرب والاغريق (تاريخ العرب قبل الاسلام ط. التفيض بغداد سنة ١٩٥١) .

(٦) كزهير والحطيئة ، وكان الاصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر لانهم نقحوه ـ راجع الشعر والشعراء ٢٣ (ط. الحلبي سنة ١٣٦٤) .

وفي الوقت نفسه يظهر شعراء المسرح ينقدون بعضهم بعضا ، وينظرون في اعمال من سبقهم ساخرين منها أو مادحين اياها . ويبرز منهم اريستوفانس ، فيتناول في اربع من مسرحياته الحركة الادبية المعاصرة بالنقد والتحليل (٩) .

واذ يسعف الزمن لافلاطون بالظهور ، يحمل على الادباء حملة شعواء ، ويعرض في محاورة « ايون » لطبيعة الشعر وأقسامه . وقد رأى أن الشعراء ليسوا في حقيقتهم الا ابواقا لالهة تحل فيهم ، ثم قرر بما لا يدع مجالا للشك ان الشعر كغيره من الفنون احدى صور المحاكاة (١٠) .

هذا الذي حدث عند الاغريق فأثر في النقد وأحكامه هو بداية التفرقة بينهم وبين العرب ، وبدا غريبا الا نرى نحو ذلك عندهم مع أنهم كانوا يعيشون نهضتهم الادبية التي انعقدت لها لغة واحدة . وبينما نرى أرسطو يعالج الضروب الفنية من دراما وملحمة وخطابة ، يضيع النقد العربي في محاولات الكشف عن خط سير اللغات قبل أن تتلاقى في لغة الادب . ومن ثم نجهل تماما كيف بدأت أسجاع الكهان لتنتهي الى التوعير الذي عرفت به ، ولماذا كان الخطباء يتشادقون وهكذا ...

وعندما ينهار الاغريق ليبدأ اللاتين حضارتهم ، يظهر واحد كهوراس Horace ـ وقد مات عام ٨ قبل الميلاد ـ فيجمع في كتابه « فن الشعر » عدة قضايا تعتبر من أخطر أحكام النقد حتى هذه الايام . بينما نرى العرب لا يزالون ضائعين في أيدي الباحثين عن شكل حضارتهم ، وان نكن لا نستبعد وجود النقاد الذين يوجهون الى ما ينبغي أن يكون ـ حتى في خلق اللغة الادبية ـ ويرسمون الطريق نحو الاجادة والصواب !

على أني لا استبعد أن يكون في الجزيرة العربية في هذه الفترة بالذات شاعر في شهرة فرجيل Virgil وكان يدعو الى صقل الشعر ، فسلك مسلكه بروبرتيوس Properticus وأوفيد Ovid فكانا ممن خرجوا على اتجاهات مدرسة الاسكندرية في النقد (١١) . ولكن ما بعث من تراث عربي حتى الان لا يكشف عن هذا ، ومن ثم سنظل على افتراض أن الحياة الادبية ـ في العصر الجاهلي المتقدم ـ لا تقبل المناقشة ، وأنها قرب انهيار دولة الرومان وصراعها مع الفرس ـ قبل ظهور الاسلام ـ ظهرت ناضجة فجأة بحيث يصعب أن نرصد للنقد الذي عمل على انضاجها ، فيبدو الشعر مثلا وكأنه شجرة

(٧) من اقدم شعراء اليونان ، وكان افلاطون يعجب بتصوراته للجمال والحقيقة .

(٨) لا نريد المعنى المشين الذي حملته الكلمة منذ تحول السوفسطائيون الى معلمي جدل ، فقد أصبح هدفهم تلقين أسباب المغالطة نظير مقدار معين من المال .

(٩) هذه المسرحيات هي الضفادع والسحب واهل اخرناي والنساء في أعياد ديميتر .

(١٠) B. Jowette : The Dialogues of Plato. vol.1, P. 243, 256

والملاحظ ان محاورة ايون Ion أصغر محاورات أفلاطون على الاطلاق ، وهي بين سقراط وتلميذه ايون .

(١١) راجع Michael Grant في كتابه Roman Literature (A Pelican Book) من ١٣٨ ـ ١٤٢ ، ١٥٨ ـ ١٦١ ، ٢٠٧ ـ ٢١٨ والمعروف أن هؤلاء جميعا كانوا حول الميلاد . كهوراس وعاشوا بين انصار الحديث في روما الاوغسطية دون ان تستصدهم دعوة الاسكندريين الى ارسال الشعر بالسليقة ارسالا .

شيطانية تنمو بلا أصل ولا جذور ، وتتفرع كيفما اتفق أو بلا قواعد مقررة . لقد كان هذا يلائم الحياة التي كان يضطرب فيها الجاهليون ، حياة ساذجة لم تدخل بعد مرحلة التفكير الواعي الذي ينظم الاحكام العفوية في قوانين عامة محددة .

كان المتنخل الهذلي يحكم في شعر الهذليين ، وفي شعر من يقصده من فناني القبائل الاخرى . وكانت قبة حمراء تضرب للنابغة في سوق عكاظ ، فيقصده المشهورون من أمثال الاعشى وحسان والخنساء يسمعونه قصائدهم فيحكم فيها . وكان نقاد قريش يرون رأيا في الشعر ، وسموا قصيدتين من أشعار علقمة الفحل سمطى الدهر ، ويروى أن المتلمس الشاعر لما أنشد :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

صاح طرفة بن العبد : استنوق الجمل (١٢) . ومن ناحية اخرى عاب الشعراء على النابغة الذبياني اقواءه (١٣)، وأخذوا بشر بن أبي حازم بالعيب نفسه ، وامتدح علقمة في معرض الموازنة بينه وبين امرىء القيس حين وصف فرسه وهو خلف الطرائد قائلا :

فأدركهن ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

وكان امرؤ القيس قد قال علي الروي نفسه وفي البحر ذاته :

فللسوط ألهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع أخرج منعب

الفرس الاول نشيط لا يضرب ، والفرس الثاني بليد يحتاج الى اهاجة . وكلاهما يقترب او يبعد عن الحياة بمقدار ما تستوعبه نظرة الناقد من خبرة ، وكان هذا الناقد امراة تدعى أم جندب الطائية ، وهي تشترك مع غيرها ممن يتصدى للنقد بسداد مع سذاجة في أغلب الاحيان ، وتنطوي على ذاتية ربما كانت تكشف عن نصح وارشاد في بعض الاحيان !

وعلى هذا النحو ظل النقد الى أن أخذ العرب منذ القرن الثاني يعنون بصناعة الكلام ، فنشأت بحوث مختلفة فيما ينبغي أن يصدر عنه الفنان شاعرا كان أو متكلما أو كاتبا ، واستجاب الادباء غالبا لكثير من آراء أبي عمرو بن العلاء والاصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى والمفضل الضبي وخلف الاحمر ثم ابن سلام (١٤) . ولكن النقد

(١٢) الصيعرية : علامة تكون في عنق الناقة ، فلما جعلها الشاعر في عنق الجمل اخذت عليه ، ناج : جمل سريع ، ويغلب هذا في وصف الناقة فيقال ناجية ، مكدم : صلب (الموشح ٧٦) .

(١٣) الاقواء : اختلاف حركة الروي في القصيدة الواحدة ، وهو بلا شك من بقايا طفولة القصيد .

(١٤) من الممكن ان نقول ان البلاغة العربية نمت في حضن الشعراء والكتاب ورواة الفصيح وعلماء الفقه . بل ربما كانت الفئة الاخيرة اكثر الفئات الاخرى أثرا على البلاغة ، وكانت دراساتهم الدينية تدفعهم الى البحث في أسلوب القرآن وطرق فهمه لوضع الاصول ، ومن هنا احتلت مقدماتهم اللغوية كثيرا من أبحاث علمي البيان والمعاني.

دائرة المعارف السيكولوجية

المجلد الاول **الثمن ل.ل ٦٠٠**

- تغلب على الخجل
- سيطر على نفسك
- تغلب على التشاؤم
- سلطان الارادة
- مفتاح الحظ
- سحر الشخصية

ترجمة : عبد اللطيف شرارة

المجلد الثاني **الثمن ل.ل ٦٠٠**

- كيف تكسب المال
- تغلب على القلق
- تغلب على الخوف
- الايحاء الذاتي
- سعادتك بيدك
- طريق النجاح

ترجمة : لويس الحاج ـ بهيج شعبان

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر

المنهجي لم يظهر الا بعد أن مات هذا الجيل ، وكان آخر أقطابه ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية أي حول القرن التاسع الميلادي ، وهو من قرون الظلام في أوروبا حيث كان الاشتغال فيه باللاتينيات طابع العصر . وفي هذه الفترة نفسها ظهرت ترجمة « كتاب الخطابة » لارسطو على يد حنين بن اسحاق ، كما وضع فيها عبد الله بن المعتز « كتاب البديع » سنة ٢٦٤ هـ وكان قد سبقه الكندي فاختصر كتاب أرسطو « فن الشعر » أو لخصه بالعربية .

(٣)

من العبث أن نجاوز العرب في هذه الحقبة من التاريخ ، فقد كانت أوروبا تعيش في عصر اللاحم وتتغنى بأناشيد المفاخر ، فانجلترا مثلا التي أفرغت قصة «بوولف» في قالبها الشعري أيام كان يهدر فحول بني أمية بالنقائض كانت تعيش على مخلفات واهنة للاغريق واللاتين في النقد ، بل كانت « بوولف » نفسها شيئا عن اسكندينافيا وملك الدنمارك (١٥) . وكانت فرنسا تتغنى داخل مجتمعها الاقطاعي بأناشيد المفاخر Chansons de Geste قبل أن تضع ملحمة رولان ، وتحكي الحكايات كما كان يحكيها عرب اسبانيا (١٦) .

وكانت اللمحات الجمالية اغريقية في اطار عربي، فليس من سبيل الا أن ننفرد بالعرب المسلمين ، وأول هؤلاء في نظري قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي الذي مات سنة ٣٣٧ للهجرة .

حقا تكلم من قبله كثيرون في الشعر والنثر جميعا، الا أنهم لم يوفوا المباحث النقدية حقها كما فعل قدامة. ومن ثم سيظل عمل الجاحظ مثلا في « البيان والتبيين » مجرد لمحات مفرقة لا تقدم نظرية متكاملة في البيان ، كذلك لم يستطع ابن قتيبة ولا ابن سلام من قبله ان يصدرا بقواعد واضحة يمكن معها تصوير أي مذهب نقدي لهما.

ولقد وضع قدامة « نقد الشعر » و « نقد النثر » كتابين يكشف القارىء فيهما عن أصابع أرسطو الماهرة . ويقرر الدكتور طه حسين أن أحدا اذا كان يشك في تأثر قدامة كتاب أرسطو في الشعر ــ وكان قد ترجمه متى ابن يونس في القرن الرابع بعد تلخيص الكندي له ــ فلن يشك قط في أنه كان على احاطة تامة بكتاب الخطابة « وقد فهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبق ما فهمه على الشعر العربي (١٧) » وبعد ذلك نجد بعض آراء أرسطو ولا سيما مما ورد في كتابيه «أنالوطيقا» و « طوبيقا » كما نجد استشهادات باقليدس في الايجاز وجالينوس في الاطناب ، وادراكا لما قاله المعلم الاول في القسم الخاص بالعبارة وهو الذي يتحدث فيه عن التشبيه والمجاز والمقابلة الخ...

ويذكر الدكتور طه حسين أنه منذ تم نقل كتابي الخطابة والشعر الى اللغة العربية عدهما فلاسفة المسلمين متممين لمنطق أرسطو ، وتناولوهما بالتحليل والشرح . من ذلك تحليل ابن رشد وشرحه ، وتحليل ابن سينا وشرحه لهما في كتاب الشفاء (١٨) .

غير ان الذي لحظ هو أن فهم هذين لكتابي المعلم الاول لم يكن في مستوى واحد من الدقة ، بل كان فهمهما للخطابة أدق ، وظهر هذا نفسه عند بقية المسلمين ، واذا كان لهذا من جدوى على النقد العربي من بعض الجوانب، فقد أفسده من جوانب أخرى . ويظهر التوازن السديد عند طائفة يوضع الآمدي الذي مات سنة ٣٧١ في قمتها، وذلك عندما يوازن بين الطائيين فيبسط روح النقد العلمي الذي يتمثل في تحقيق نسبة الشعر ، وفي عمليات الموازنة وسوق حجج المتشيعين لكل من أبي تمام والبحتري. هذا بالاضافة الى مناقشة علل أرسطو الاربعة وهي المادة والصورة والعلة الفاعلة والعلة الغائية، وقد سماها في كتابه بالعلة الهيولانية والعلة الصورية والعلة الفاعلة والعلة التمامية (١٩)

وبدا النقد في القرن الرابع نقدا بناء ، وكان الناقد يتسلح فيه بما يرسي قواعد فكرته ، فالآمدي الذي يعتمد على التراث العربي ويناقش قدامة ثم يتسلح بعلم الاغريق، يتعرف حكمة الفرس كما يقول عقب بسطه علله الاربع. ومعنى هذا أن العصر كان يحتاج الى المثقف الواعي الذي يربط تيارات العصر بروافد الماضي المستمر .

ولم يكن الآمدي وحيد عصره في ذلك ، وانما كان ظاهرة عامة . فمن بعده أبو الحسن الجرجاني والصاحب ابن عباد والصابىء وابو هلال العسكري وابن جني وابن العميد وعبد القاهر الجرجاني وأبو العلاء وابن رشيق وابن شرف . وبعض هؤلاء كانت ثقافتهم تتسع حتى تشمل علوم الحياة كلها ، وكان لهم رأي مسدد في الخلق الفني وفي طبيعة الشعر وفي روح القديم والحديث وفي تطور القصيد واختلافه عن الرجز.

وأمامي « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » و « رسائل الانتقاد » الاولان من تأليف عبد القاهر الجرجاني ، والاخير من وضع أبي عبد الله محمد بن شرف القيرواني، وكلا المؤلفين مات في القرن الخامس الهجري، ودل ما كتبا على أنفس ما يمكن أن يكتب في البيان العربي على وجه العموم .

على أننا نلحظ أنه بينما يحتفظ ابن شرف بالطابع العربي واتجاهاته التي تقوم على الانفعال والذاتية، يستعين عبد القاهر بما كتب ابن سينا في « العبارة » وبما قدمه الاغريق في المجاز (٢٠) ، فضلا عن ان جهده في التأليف بين قواعد النحو العربي ــ على ما ظهر في كتابه دلائل الاعجاز ــ وآراء أرسطو في الاسلوب والجملة كان يبعد النقد العربي عن روحه العربي بصفة عامة ، ومن ثم أصبح من السهل

(١٥) B. Ifor Evans : A Short History of English Literature; P. 8, 9, (Pelican).

(١٦) كان ذلك قبل قرن كامل من ظهور دانتي في ايطاليا في القرن الثالث عشر ، وقبل قرنين تقريبا من ظهور تشوسر عند الانجليز. وهنا تحسن مراجعة صفحة ١١ من كتاب (Geoffrey Brereton) « موجز تاريخ الادب الفرنسي » (Pelican) وصفحة ١٩ من كتاب Gustave Lanson وعنوانه Histoire de la Littérature Française, Paris 1947 وصفحة ١٧ من كتاب « موجز تاريخ الادب الايطالي » (Pelican)

(١٧) كتاب نقد النثر ٢٣ من المقدمة (ط. مصر سنة ١٩٣٨) .

(١٨) السابق ٢٤ .

(١٩) الموازنة بين الطائيين ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢٠) يرى طه حسين في صفحة ٢٩ من مقدمة « نقد النثر » ان المجاز المرسل والمجاز الذي يقوم على التشبيه ويسميه ارسطو صورة، ظهرا بوضوح عند عبد القاهر وان يكن يسمى الثاني استعارة .

ــ التتمة على الصفحة ٥٤ ــ

في تاريخ النقد الادبي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

جدا على أبي هلال العسكري أن يحول النقد كله ـ خلال القرن الخامس الهجري ـ الى بلاغة وذلك في كتابه «سر الصناعتين» .

ويرى أمين الخولي أن القدماء كالراغب الاصفهاني مثلا أدركوا أن الدراسات الادبية التي تقبلت بها المناهج أوجدت بلاغتين : أولاهما البلاغة على طريقة العجم وأهل الفلسفة حيث يسكن الفرس والترك والتتر ، ومن فحولها الزمخشري وأبو يعقوب يوسف السكاكي وسعد الدين التفتازاني. وثانيتهما البلاغة على طريقة العرب والبلغاء حيث مهد العربية في مصر والشام والعراق ، ومن روادها ابن سنان الخفاجي وابن الاثير والسبكي المصري (٢١)

(٤)

اذا كانت وفاة السكاكي تقع عام ١٢٢٦ للميلادووفاة القزويني قرب ١٣٣٨ للميلاد ومن بعدهما مات التفتازاني والعلوي ثم علي بن محمد الشريف الجرجاني ، فنحن اذن في عصور البعث الاوروبي ، وهي الفترة التي أخذت فيها اللاتينية في الاضمحلال لتظهر اللغات القومية في ايطاليا واسبانيا وفرنسا وانجلترا والمانيا، وبظهور هذه اللغات يظهر رواد اوروبا كدانتي وتشوسر وبترارك ثم بوكاشيو Boccaccio (١٣١٣ ـ ١٣٧٥) واراسموس Erasmus (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦) وفيفيس Vivès (١٤٩٢ ـ ١٥٤٠) وغيرهم (٢٢) .

وهذه الفترة نفسها هي فترة تسود المغول والاتراك شرقي العالم الاسلامي وتمكن البربر من غربيه، وفي أواخرها أي سنة ٨٩٧ هـ خرج العرب من اسبانيا بفرار أبي عبد الله محمد صاحب غرناطة وآخر ملوك المسلمين في الاندلس ! وكان الواقع الادبي لا يغري الا بتأثر الاولين، ومن ثم ظل النقد في صورته البلاغية لا يتنكر لها ويدور حول معنى الفصاحة كما كان يفهمها القدماء ، بل أصبح وسيلة يتعرف بها الاديب فنون الكلام . وقد حدد القزويني معنى البلاغة في القرن الرابع عشر بأنها العلم الذي يرشد المتعلم الى اساليب الكلام التي تتميز باستعمالها الصور المجازية، وبعده بقرن نظر جلال الدين السيوطي ـ وهو آخر علماء تلك الفترة واعظمهم ومات بمصر سنة ٩١١ هـ ـ النظرة نفسها ، وجعل لتأليف العبارة خمس مراتب .

رأى أن هناك أشياء ، وأن هذه الاشياء تعرضها الاقوال . غير ان المشكلة الحقيقية قائمة على بيان طبيعة النظم ، أليس اعجاز القرآن راجعا الى أن نظمه مخالف لنظم ما عداه ؟ كل ما يشترط أن يكون هناك القادر على أن يتحكم في ضبط الاساليب ولهذا « نقول مراتب تأليف الكلام خمس : الاولى ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض لتحصل الكلمات الثلاث ، الاسم والفعل والحرف. والثانية تأليف هذه الكلمات بعضها الى بعض لتحصل الجمل المفيدة ، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ، ويقال له المنثور من الكلام . والثالثة بضم بعض ذلك الى بعض ضما له ميلا ومقاطع ومداخل ومخارج ، ويقال له المنظوم . والرابعة أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له المسجع. والخامسة أن يجعل مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر. والمنظوم اما محاورة ويقال له الخطابة ، واما مكاتبة ويقال له الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الاقسام (٢٣)».

هذا نفسه ـ في طبيعته الآلية ـ نراه عند الاوروبيين ، لا لانهم تأثروا بالعرب ولا سيما بعد احتكاكهم بهم في الحروب الصليبية . وانما لان دعاة القديم في القرن السادس عشر وبعده كانوا يعجبون بنظرية أرسطو التي فهمها المسلمون والتي تجعل الاشياء ـ وهي الشكل او الالفاظ ـ كيانا مستقلا ، هذا برغم ما ذهب اليه أفلاطون من أن الشكل والمحتوى لا ينفصلان قط.

ولكن تلخيص ابن رشد لارسطو ـ وقد ترجمه هرمن الالماني في القرن الثالث عشر ـ ثم نقل كتابه « فن الشعر» الى اللاتينية سنة ١٤٩٨ ، وشرحه على يد كوزيمودي مدتشي Medici سنة ١٥٤٨ بحيث يرتبط به معظم نقاد ما قبل الرومانسية ، ثم وجود « اتباع قواعد ارسطو» في اسبانيا (٢٤) .. كل اولئك كان يجمع اوروبا كما جمع المسلمين على نظرات ارسطو النقدية التي يتحكم فيها المنطق بحيث يصبح من السهل ان نعتبر جمال العبارة زينة خارجية ، وغرابة اسلوبها على اساس من دقة التركيب حتى حد الابهام ضرورة من ضرورات المتعة (٢٥).

ومع ذلك فنحن لا نزعم ان العرب سايروا الغرب في نهضته ، فبينما كان الايطاليون يشرحون ارسطو ويترجم الفرنسيون سنيكا وهوراس ويعني الالمان ـ وعلى رأسهم لسينج الناقد الكبير ـ بمسرح الاغريق .. بينما كان هذا يحدث في اوروبا اخذ المسلمون يدخلون عصور الظلام بعد أن خضعوا سياسيا لسلطان العثمانيين .

الا ان الظاهرة الفذة ان ما بسطوه في كتبهم حول النقد والبلاغة كان يتبع بدقة عند الغربيين ، فالالفاظ مثلا يجب ان تحتفظ بكينونتها مؤيدة بحياة الآداب القديمة ، والكلام المنمق سمة الادب الذي يقوم على الصنعة ، والعبارة الفخمة المفعمة بالعزة يجب ان تطبع اناشيد المفاخر ، واللغة في جملتها لم توجد الا لتحديد العلاقات التي يغلب عليها العقل ، وهكذا ...

---

(٢١) راجع مادة « بلاغة » في دائرة المعارف الاسلامية ، والمعروف ان للسكاكي الذي مات سنة ٦٢٣ بحثا منظما في علوم البلاغة الثلاثة على ما انتهت اليه ، ضمنه الجزء الثالث من كتابه « مفتاح العلوم » وقد اختصره القزويني المتوفي سنة ٧٣٠ بعنوان « تلخيص المفتاح » وهذا تدول بالشرح والتعليق مرارا ، على ما فعل سعد الدين التفتازاني، ثم شرح الشرح وهكذا . ونجد نموذجا لهذا فيما كتبه علي بن محمد الشريف الجرجاني المتوفي سنة ٨١٦ حول تعليقات التفتازاني على تلخيص المفتاح، وكان في الوقت نفسه يشرح الجزء الثالث من مفتاح الساكي ، ويشرح كشاف الزمخشري على ما ورد في طبعات القاهرة عام ١٣٠٧، ١٣٠٨ ، ١٣١٨ ، وهذا الكتاب بدوره أساس كتب أهمها « كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » وقد ألفه العلوي المتوفي سنة ٧٤٩ للهجرة .

(٢٢) Roman Literature, P. 253, 254

(٢٣) الاتقان في علوم القرآن ٢ : ١٢٠ (ط. الحلبي سنة ١٩٥١) .

(٢٤) فن الشعر ١٢ وما بعدها من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي (ط. النهضة المصرية سنة ٩٥٣) .

(٢٥) يرى جوستاف فون جرونباوم ان اعتبار الجمال زينة خارجية واتيان الاديب بالعجيب والنادر عند العرب وأدباء أوروبا حتى عصر النهضة فكرتان أرسطوطاليسيتان ـ ص ١٢، ١٣، ١٤ من كتاب دراسات في الادب العربي (ط. بيروت بالاشتراك مع فرانكلين سنة ١٩٥٩).

ومنذ وجد الشاعر المجهول في فرنسا مثلا خلال عصور الظلام الى هوجو ولامارتين وموسيه ـ كبار الرومانسية ـ ظلت قضية البلاغة شغل الدارسين سواء تنكرت في ثياب الفصاحة او ظهرت سافرة في عمليات العرض والتوجيه .

ثم تضخم كل شيء عندما شرع في ارساء قواعد النقد على اسس علمية محددة ، واستعين في ذلك بعلوم اللغة والاصوات والاجتماع والجمال والانثروبولوجيا والاثنولوجيا والميثولوجيا . وقد غرق الدارسون بين تاريخ الأدب وبين نقده ، وظهرت عندهم اتجاهات حاول جويل سبنجارن (١٨٧٥ ـ ١٩٣٩) ان يكشف عن بداياتها في كتابه « مقالات نقدية من القرن السابع عشر » (٢٦) وكان ذلك قبل ان يخطط لكتابه القيم « النقد الجديد » سنة ١٩١١ .

وليس يعنينا ان نسوق قائمة بما الف في النقد بعد ذلك ، فهي كثيرة ، وهي معقدة ، وهي تبين مدى العناء الرهيب الذي يتجشمه النقاد في سبيل احقاق الحق ، ولكنها قبل ذلك تضع انواعا تكثر وتتشابك حتى ليأتي واحد كجورج واطسون ويقترح جعلها ثلاثة فقط هي النقد البلاغي ، والنقد الوصفي ، والنقد النظري (٢٧) .

على ان هذا التحديد ليس جامعا مانعا ، بل لا ينفي حقيقة اضطراب المعايير القديمة من ناحية ولا وجود ما يخرج عنه اليوم من ناحية اخرى ، ففي الناحية الاولى مثلا يقفنا سبنجارن على مقال نقدي كتبه صمويل بتلر سنة ١٦٧٨ يغمز فيه النقاد الذين يقيسون مسرحيات العصر بمقاييس القدماء (٢٨) ، كما يعطى صورة عن الناقد النزيه الذي لا تمنعه نزاهته من ان يغلب اهواءه فيطري ما يستحق الذم ويقدح فيما هو جدير بالاطراء ، وقد كتب هذا المقال جون دنيس سنة ١٦٩٣ تعليقا على كتاب اخرجه ريمر Rymer بعنوان « عرض موجز للتراجيديا (٢٩) ومثل هذا وذاك كثير ، مما يتفق مع نمو الأشياء وتطورها ، وكان النقد حتى هذه الفترة يترسم خطى الاغريق واللاتين .

ومنذ اواخر القرن الثامن عشر وقد تفتحت آفاق العلم في شتى نواحيه غلبت نزعة التحليل على الحكم ، وهذا ما يتمسك به اليوم بعض النقاد تاركين للتفسير حق الحكم غير المباشر ، اما بالنسبة للاخرين ، فقد كان الخضوع لانواع العلوم يعني ان من الممكن رؤية الحقيقة الادبية وتفسيرها ثم تقييمها ، والتعبير عن ذلك كله باصطلاحات فنية نقدية . بمعنى ان ادراك اشهر القوانين العلمية مثلا يرسم الطريق امام الناقد ليعرف هل القاص سيطر على حبكة القصة في حدود امكانيات الظواهر ، وهل الشاعر كان صادقا في تفاعله مع بيئته ، وهكذا !

فليس نشوزا بعد ان يضع هيبوليت تين Hipollyte Taine (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) فيما بعد قاعدته التي تقرر ان الادب يعتمد اساسا على الجنس والزمن والمكان ، وهو لذلك شيء حتمي بحيث يمكن ان تصبح الفضيلة عنده شيئا كالسكر نتاج مسبب مادي . فاذا كان واحد كاميل زولا يحاول ان يجد طريقة « علمية » لكتابة الرواية ، فليس من شك في ان خيال تين كان يتمثل امامه كما تمثل لغيره ، وان تكن اقانيمه الثلاثة قد اقتصرت على المكان او البيئة بشقيها المادي والروحي .

ولكن المعارضين كانوا كثرة منهم معاصره سنت بيف Saint - Beuve (١٨٠٤ ـ ١٨٦٩) بصفة خاصة ، وكان لا يرى « تين » الممثل العظيم للطريقة العلمية في نقد الادب ، بل يعتبر دائما ان هناك نقادا اجتماعيين سبقوه بما ساعدوه على ما وصل اليه بصدد البيئة ، ولكن بغير فلسفته يمكن للدارس ان يصل الى كثير من الاحكام !

كان سنت بيف يوجه همه نحو الشعراء ينقدهم في الصحف ، ويقرر ان شخصية الشاعر هي المؤثر الاساسي في القصيدة اذا حاولنا ان نعرض لطبيعتها . وكان هو نفسه ذكيا ساحر التكهنات فيما يتصل بحياة الشاعر الخاصة وما تبلوره من مزاج ، ومن ثم استطاع ان يلمح طغيان حاجاته الذاتية على ما حوله من اسباب ، فقرر ان الاديب يستطيع ان يتصرف بحرية في نطاق القوى التي تتيحها له بيئته ، فيهدم قاعدة تين بايسر سبيل .

ومن المعارضين ايضا هنري جيمس Henry James الامريكي (١٨٤٣ ـ ١٩١٦) وكان يدرك تماما ـ ربما اكثر من معاصريه الفيكتوريين ـ حقيقة المسائل التي كان يواجهها الناقد في اخريات القرن التاسع عشر ، بل شرع يبحث عن مبادىء فن القصة ـ بصفة خاصة ـ ليجعلها مجالا لتأكيد نظريته التي تجعل مهمة الناقد ان « يحس حتى يفهم » وان « يفهم حتى يعبر » فهو يدعو الى خلق جديد ، وهو من اجل ذلك معجب بسنت بيف الذي يتدرج في استبطانه من مختلف العلاقات الجزئية الى الموضوع العام .

على ان هذا امر يطول تقصيه ، فسنجد كل شيء قد تضخم كما قلنا ، وسنجد التشابك والاصطلاحات الغريبة والطريفة ، والمحاولات التي تستهدف الفصل بين الاخلاق والعمليات الادبية او بين الاخلاق والالهام ، والربط بين الشكل والمحتوى لفهم دينامية العمل الفني وطبيعته ، والاتحاد بين العبقرية والذوق ، وهكذا ...

ان سبنجارن في القرن العشرين (١٨٧٥ ـ ١٩٣٩) يبت في كثير من القضايا ، ويجيب عن اكثر من مشكلة في كتابه « النقد الجديد » الذي وضعه سنة ١٩١١ وفي كتابه الاخر « النقد الخلاق » الذي صدر بعد ذلك بسبع سنوات . وعلى الرغم من انه عدل عن بعض آرائه في كتابه « الدراسة والنقد » وقد اصدره سنة ١٩٢٢ فانه لم يصل الى المستوى الذي يمكن ان ننزهه فيه عن الاسراف والخطل ، بل ربما اعتبر بعض الدارسين « جوردان » صاحب كتاب

(٢٦) J.E. Spingarn : Critical Essays of the Seventeenth Century (Oxford 1908, 1909) وهو ثلاثة أجزاء قدم لها بمقدمة طويلة عن صورة النقد في القرن المذكور .

(٢٧) George Watson : The Literary Critics

(٢٨) Critical Essays of the Seventeenth Century. Vol. 2, P. 278.

(٢٩) Ibid. vol. 3, P. 148.

« مقالات في النقد » وصاحب نظرية النظام الثقافي (٣٠) انجح منه اصابة للهدف .

(٥)

كانت بدايتنا الجديدة ـ بعد انهيار حكم العثمانيين ـ من حيث وقف الرومانسيون في اوروبا ، فصادف سنت بيف هوي من نفوس النقاد العرب . الا ان حملته على شعراء العصر كهوجو ولامارتين لم تلق قبولا منهم ، كما ان اتجاهات الرومانسيين نحو الاتصال بالقدماء كدانتي وشيكسبير وسكوت وبوشكين شجع على الترويج لعظماء اوروبا على حد سواء . ومن ثم ارتبط النقد ـ وقد كثر النقل والاقتباس ـ بما يتفق والرغبة في الاستفادة من تلك الكنوز . وكان التقليديون لا يزالون يشدون قاماتهم فاختلطت نزعات التجديد ببلاغيات الاولين ، وكان من اثر ذلك ان الرومانسية الوافدة لم تستطع ان تقتل البيان العربي . ولعلنا من هنا نفهم لماذا اشبه اسلوب شوقي اسلوب البحتري مثلا او المتنبي ، وكيف كانت ترجمة فرح انطون لرواية « بول وفرجيني » صورة من بيان الجاحظ وابي حيان وابن المقفع !

وقد امتد نفوذ البلاغيين الى ادباء المهجر ، ونعوا عليهم ضعف نسيجهم اللغوي ، بل كان هذا الضعف مثار اعتراض المجددين من امثال ابراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد وطه حسين .

ويمكن تصوير الموقف النقدي خلال عشرينات القرن العشرين على هذا النحو التالي :

جماعة القدماء ، وقد ظلت متمسكة بنظرية التعبير الفني القديمة ، ومن اقطابها مصطفى صادق الرافعي .

انصار التجديد وفيهم طه حسين ، وجماعة الديوان، والرابطة القلمية بالمهجر . الاول حدد له اتجاها ربطه بفلسفة ديكارت على ما ظهر في كتابه « في الادب الجاهلي» ولكنه لم يتخل عن كثير من اصول النقد القديم في اعماله الاخرى . وجماعة الديوان التي مثلها العقاد والمازني عمدت الى نقد عمالقة الادب التقليدي ، مستعينة بقراءات اجنبية جادة ، واصدرت « الديوان » لتسفح فيه دم احمد شوقي ومصطفى لطفي المنفلوطي (٣١) . والرابطة القلمية التي كان جبران خليل جبران عميدها وميخائيل نعيمة مستشارها ، نادت بتنظيم الثورة على القديم على ضوء ما تستمده من التيارات الغربية الناهضة (٣٢) .

وبينما كانت المعركة النقدية محتدمة بين طه حسين والرافعي وبين الرافعي والعقاد ، كان ثمة من يحاول ان يجيب عن كثير من القضايا النقدية فلا يوفق كثيرا ، بل ربما تورط في مفاهيم الآمدي والجرجاني وابن رشيق . فالدكتور رمزي مفتاح ـ وهو صاحب بيان عربي اصيل ـ يوضح في كتابه « رسائل النقد » ان العقد العصبية والموسيقى والغرائز والغموض وطبيعة الكون قد تجيب عن قضية الشكل والمحتوى عند العقاد كناظم ، غير انه لم يزد على ما كان يفعله الصولي قديما . ومع ذلك فالدارس قد يذكر من فصول كتابه « نفس العقاد » كشاهد على ما كان يتسرب الى نقدنا من مباحث علمية متنوعة .

وفي سنة ١٩٣٢ يضع سيد قطب « مهمة الشاعر في الحياة » فلا يحل القضية كما حلت عند « ستيفن سبندر » فيما بعد . وكانت مناقشاته التي اجراها حول « مهمة الفنون الجميلة » و « الشاعر والفيلسوف » و « الخيال في الشعر » لا تكشف عن احسن ما عنده كناقد انطباعي . ومع انه كان ممن قرأوا لكروتشه وتين وستتبيف ، فلم يظهر في نقده ما يمكن ان يكون مخالفا لبلاغيينا القدماء .

وفي سنة ١٩٣٩ يضع نسيب عازار « نقد الشعر » ويضع رئيف الخوري « النقد والدراسة الادبية » فلا يظفران باكثر مما ظفر به سيد قطب ، فهل كان ذلك آخر مدى لنظرة العصر الادبية ؟

لسنا ندري ، ولكن لاهما ولا غيرهما كان من الممكن ان يحددوا منهجا معينا ، ولم يكن الا مفرقات ـ في بعضها سداد وعمق على ما يظهر عند نسيب ـ وملحوظات ذكية تطرد عند الكثيرين ، بحيث يبدو بعض ما يورده ميخائيل نعيمة في « الغربال » صدى لما يقوله العقاد في « الديوان» وفي غير الديوان . وكانت الآراء حول العاطفة والذوق ومهمة الناقد وحقيقة التجربة والمنهج الذاتي مجرد خطرات ـ وقد تتعارض في بعض جوانبها ـ لا تضع نظرية معينة في التعبير !

ومع هذا فلا يمكن الا ان نعترف بأهمية الدور العظيم الذي لعبه هؤلاء الرواد ، وبانهم هم الذين سووا واحدا مثل محمد مندور او عبد القادر القط او محمود العالم او عز الدين اسماعيل او غيرهم ممن ادخلوا النقد العربي الحديث ميادين طريفة ، متصدين لمناقشة نظريات الاسلوب وطبيعة « التكنيك » ودور الادب في المجتمع . فاضافوا الى النقد شتى آراء كانت ـ من غير شك ـ تلبية مباشرة لقضية الشكل والمحتوى ، وقدموا الدليل على ان الناقد قد يحقق ذاته في تبريراته النقدية فيضع سمات الناقد العربي الخلاق .

اننا لا نقول ان نقادنا اليوم افضل من نقاد الامس ، ولكننا نؤكد انهم امام مشكلات اكثر تعقيدا من مشكلات الجيل الماضي . وهذا التعقيد كفيل باخصاب العملية النقدية ، وعامل من عوامل تفتحه !

القاهرة

احمد كمال زكي

---

(٣٠) يقول ان النقد يجب ان يتجه الى النص باعتباره جزءا من نظام، فالقصيدة مثلا لا تفهم في ظل الادب فحسب ، بل كذلك في ظل النظام الثقافي كله لعصر من العصور ، على أساس أن هذا النظام وحدة من نظم دينية واقتصادية الخ ... راجع كتاب « محاضرات في النقد الادبي » للدكتور سهير القلماوي ٤٢ ، ٤٣ (ط. معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٥) .

(٣١) كان المفروض أن يكون « الديوان » كتابا نقديا يقع في عشرة اجزاء ، ولكن لم يصدر منه سوى جزئين اثنين.

(٣٢) في كتاب محيي الدين رضا « بلاغة العرب في القرن العشرين» ط. القاهرة سنة ١٣٣٩ مقال لجبران بعنوان « لكم لغتكم » يعتبر صورة مهوشة للحملة على القديم، في حين يقدم ميخائيل نعيمه كتابه«الغربال» متضمنا مقالات مختلفة فيها الاتزان والرصانة وفيها الدعوة الى أن توضع للادب العربي مقاييس جديدة ملائمة للعصر .